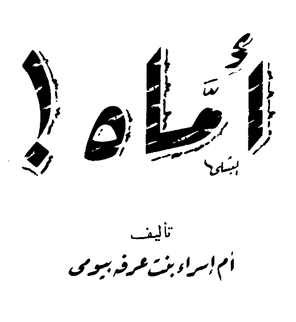


تأليف

أم إسراء بنت عرفة بيومي

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م

رقم الإيداع : ١٥٧٩٢ / ٢٠٠٠

طبع بدار نوبار للطباعة



مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين «ناصية شارع الجمهورية»
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس : ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾** [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله

ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ – ٧١] .

أما بعد :

فإن من أعظم واجبات المرأة المسلمة اليوم هو واجب التربية والإعداد لأجيال المستقبل ، فهذه هي مسئوليتها الأولى التي ستُسأل عنها بين يدي الله يوم القيامة ، روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: ((**ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهـــل بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عنهم**)) [١] . فالأطفال هم مسئولية المرأة الأولى ، ولكن مع كثرة ما يشغل المرأة المسلمة هذه الأيام

(١) البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩ / ٢٠) .

وتشتيت جهودها بين العمل والمنزل ، وعدم إلمام المرأة المسلمة بأهمية هذه المسئولية ، وحتى إن أدركت أهميتها فالمرأة اليوم لا تلم بأسلوب التربية السليمة ، ولذلك ظهرت في مجتمعنا نماذج من الشباب والشابات ضلّوا الطريق وابتعدوا عن صراط الله المستقيم ، لغياب التوجيه والإرشاد فأصبح الشباب يشعرون بالضياع واليُتم ، وصَدَقَ الشّاعر إذْ يقول :

ليس اليتيمُ من انتهى أبواه　　من هَمِّ الحياة وخَلّفاه ذليلاً
إنّ اليتـــيم الذي تَلْقى له　　أُمًّـــا تَخلّت أو أبًا مشغولاً

وقد يشاء الله لبعض الشباب الخروج من هذا الضياع فيقف بعد ذلك وقفة مع نفسه يستدرك ما مضى من عمره ويبحث في أسباب ضياعه ، ودائمًا يكون على رأس

القائمة إهمال الوالدين تربية أبنائهم وسوء الأساليب التربوية التي يستخدمونها . وهذا لا يعني أنَّهما هما المسئولان فقط عن فساد الأولاد ، ولكنه يعني أنَّهما يلعبان الدور الأكبر في ذلك .

وسوف أخُصُّ الأمَّ في هذه الرسالة لأنَّها أقرب إلى الأولاد من الأب ، ولأن المسئول الأول عن تربية الأولاد هو (الأم) التي تستطيع أن تُخرج لنا أجيالاً كأجيال السلف الصالح ، وصدق الشاعر إذْ يقول :

الأم مدرســـة إذا أعددتَها   أعددت شعبًا طيِّب الأعراق

وحديثي عن الأمهات لا يعني أنَّهُن المسؤولات فقط عن التربية ، كما لا يعني أن كل الأمهات يُخْطِئن في تربيتهن لبناتهن وأبنائهن ، بل هناك من يُجِدْنَ التربية والتوجيه . كما أن هذا الحديث لا يعني أن كل أم تحوي كل هذه الأخطاء جميعًا أو أنَّها لا تُراعي كل

الأسس التربوية ، فلا شك أن لكل أم أساليبها السليمة وأساليبها الخاطئة ، وإن كنت سأهتم في رسالتي بأسس ينبغي لكل أم أن تهتم بها في تربيتها لأطفالها ومبادئ لا غنى لأي مسلم عنها . وأذكر بعض الأساليب التربوية الخاطئة لتتجنبها .

وكمحاولة للتجديد في صياغة الموضوع أردت أن أصوغ الموضوع في صورة رسالة تبعثها ابنة إلى أمها توجهها فيها لأمور كان ينبغي أن تهتم بها في تربيتها لها ، وتذكر الأخطاء التربوية التي كانت أمها تقع فيها تجاهها .

وآمل من الله أن يوفقني في رسالتي هذه وأن يجعلها عونًا لي ولكل أخواتي المسلمات في تربيتهن لأولادهن وبناتهن .

فإليك أختي المسلمة هذه الرسالة ، وأسأل الله أن تكون خالصة لوجهه الكريم .

* * *

أمي الحبيبة ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أُحيّيك يا أمي بتحية الإسلام تحية المحبة والمودة ، تحية مَن لهج قلبه بالتوقير والحب لك ولسانه بالثناء عليك ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أمَّـــاه : أذكرك مع إشراقة كل شمس وغروبها ، أذكرك مع إقبال الليل وإدبار النّهار ، حين أسافر وحين أقيم ، فذكراك لا تزول عن خاطري . كم هي عظيمة آلاؤك عليّ وكم هو كثير إحسانك إليّ ، ولن أستطيع أن أخفي أفضالك عليّ فإليك يا من سَهَرَتْ عيناك لمرضي ، وتَعبت قدماك لأجلي . إليك أيتها الأم الحنونة المُشفقة أبعث هذه الرسالة التي سكب فؤادي أشواقه فيها ، والتي أرجو ألا يَتبادر إلى عقلكِ النيّر أنّها من

سبيل العتاب ، بل هي كلمات من صميم قلب يفديك بماله ودمه وروحه .. رسالة من ابنتك المُحبة إليك أقول :

أمـــاه : لقد عشتُ مرحلة من العمر مَضت بما فيها من غفلة ، ثم مَنَّ الله عليّ بالهداية وجلست طويلاً أفكر تفكيرًا عميقًا أبحث في أسباب ضياعي ، فوجدت على رأس القائمة ((**أمي**)) عندها قررت وبعد طول تفكير أن أسطر لك هذه الرسالة لأصارحك بكل وضوح ببعض مما كان لا ينبغي تجاهي من أساليب تربوية وأنا أجزم بإذن الله على قدرتك على تجاوز هذه الأخطاء تجاهي أولاً وتجاه أخواتي ثانيًا .

أمـــاه : لقد أهملتِ في تربيتي كثيرًا من الأمور التي لا يستغنى عنها أي مسلم ومسلمة (كالاهتمام بالتوحيد

والصلاة وحسن الخلق) ، وأعلم أنك يا أماه لم تتعمدي ذلك بل أردتِ دائمًا سعادتي ، وإن كنت قد فهمتِ السعادة — معذرة يا أمي — بمفهوم خاطئ فاعتقدتِ أن السعادة في التفوق الدراسي لي وزواجي وغيرها من أمور الدنيا التي لم يَخْلُقنا الله فيها عبثًا ، بل خلقنا لغاية سامية ذكرها في كتابه الكريم ، فقال : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] وهذه هي الغاية التي خلقنا الله لها والتي لم تعلّميني إياها في يوم من الأيام ، فخرجتُ إنسانةً ضالّة ليس لها هَمٌّ سوى التّعلّق بحطام الدنيا الفانية ، وأحرقتِ قلبا امتلأ بالحب لك بنيران البعد عن الله والضياع والحَيْرة ، أحرقتِ قلبًا — يحبك — بنيران الغفلة والبعد عن طريق الله ، وعندما هداني الله يا أمي أردت أن أوجه لَكِي هذه الرسالة التي

قد تطول فصولها ، ولكن ذلك خير من أن تطول فصول معاناتي ، وقد يكثر في رسالتي سرد الأخطاء ولكن ذلك أوْلَى من أن أكثر الندم والتحسُّر على الإهمال .

* * *

التوحيد يا أمــاه

أمــاه : تعودت معك في كل مناسبة سعيدة أن نربط بينها وبين نذر لأحد الأولياء ، فعند انتظارك نجاحي أسمعك تقولين :

" **مَدد يا حسين** " ، " **مَدد يا بدوي** " . كما أذكر جيدًا تلك الزيارات التي قُمنا بها إلى السيدة زينب والسيدة نفيسة وغيرها من المساجد وكنت تأخذي

بيدي وأنا صغيرة لأتمسّح في الضريح (القبر المُزيَّن) وأمسح على جسدي لأتبرَّك بالقبر ومن فيه .

ألم يحدث ذلك يا أمـــاه ؟ ولكن هل كان " **الحسين** " يسمعنا أو " **البدوي** " ينفعنا ؟ مع الأسف يا أمـــاه لقد غرستِ الشرك في قلبي الصافي الصغير الذي فطره الله على التوحيد والإيمان بالخالق عز وجل والإيمان بكل فضيلة ففيه نور الفطرة . بيد أن القرآن يزيده نورًا ، والأصل في ذلك أن كل مولود يولد على الفطرة كما جاء في حديث النبي ﷺ ((**كل مولود يُولد على الفطرة ، فأبواه يُهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجّسانه**)) (١)

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨) .

تلك الفطرة التي فطرنا الله عليها هي التوحيد والتي كان يجب عليك أن تثبتيها في قلبي ، ألم تعلمي يا أمـــاه أن من حقوقي عليك وأنا صغيرة أن تلقنيني كلمة التوحيد حتى يكون أول ما أنطق به " **الله** " و " **لا إله إلا الله** " وحتى تعملي بحديث رسول الله ﷺ ((**افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله ، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله**)) (١) . وبحديث ((**إذا أفصح أولادكم فعلموهم لا إله إلا الله**)) (٢) فيكون ذلك

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٨٦٤٩) عن ابن عباس ، وهو جزء من حديث ذكره السيوطي في الجامع الكبير ونسبه للحاكم في تاريخه والبيهقي وقال : قال البيهقي : غريب ، وعزاه في الكنز (٤٥٣٣٢) إلى ابن عساكر في تاريخه . وانظر تحفة المودود لابن القيم رحمه الله (ص ١٧٨) .

(٢) أخرجه أبو السني في عمل اليوم والليلة (٤٢٣) .

أول ما يتكلم به الصغير . أتعلمين لماذا ذلك يا أمي الحبيبة ؟ لأن لا إله إلا الله تعني لا معبود بحق إلا الله فلا يستحق العبادة إلا الله فيغرس الآباء في قلب الصغير العبودية لله وحده . فيتحقق الهدف الذي من أجله خلق وهو عبادة الله عز وجل . تأملي قول ابن القيم (١) يفسر ذلك (فإذا كان وقت نطقهم — أي الصغار — فليلقّنوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده ، وأنه سبحانه وتعالى فوق عرشه ينظر إليهم ويسمعهم وهو معهم .. ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله : عبد الله وعبد الرحمن بحيث إذا وعي الطفل وعقل علم أنه عبد الله و أن الله هو سيده ومولاه ألم تعلمي أن من حقوقي عليك تعليمي معنى

---

(١) تحفة المودود (ص ١٨٤) .

هذه الكلمة وأنّها تعني ألا نتوكل إلا على الله ولا ندعوا إلا الله ، ولا نخضع إلا لله ، ولا نحلف إلا بالله ، ولا ننذر ونذبح إلا لله ، حتى يتحقق معنى قوله سبحانه : **﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾** [الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣] ألم تعلمي يا أماه ذلك ، وأن من الشرك الذي لا يغفره الله الذبح للقبور ، والحلف بغير الله . فالله سبحانه وتعالى جعل الشرك من أكبر الكبائر ، وهو يغفر الذنوب إلا الشرك **﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدًا ﴾** [النساء : ١١٦] .

أجل .. فما أشدَّ ضلالَ مَن يشرك مع النافع الضار من لا ينفع ولا يضر .

أمـــاه : إن الأولياء الصالحين لا ينفعون ولا يضرون أحدًا فهم بشر لا حول لهم ولا قوة ، تأملي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربِّهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورًا** ﴾ [الإسراء : ٥٦-٥٧] قرأت في تفسير هذه الآيات يا أمـــاه : أن هؤلاء الذين ندعوا من دون الله لا ينفعون ولا يضرُّون رغم أنَّهم صالحون في حياتهم ، إلا أن صلاحهم لا ينفع أحدًا سواهم ، وهذا الصلاح كانوا يسعون لتحصيله وهم على قيد الحياة حتى يتقربوا به إلى الله طمعًا في رحمته وخوفًا من عذابه ٠ولو كانت أعمال الصالحين تنفع غيرهم لنفع رســولُ الله ﷺ عمَّه

أبا طالب الذي مات كافرًا ، ولما قال النبي ﷺ لابنته فاطمة : ((**يا فاطمة بنت محمد اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئًا**)) (١) .

أمـــاه : إن هذه المساجد التي ندعوا فيها الأولياء ونتوسل بهم إنما هي بيوت الله وقد قرأت في كتاب الله : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا** ﴾ [الجن : ١٨] . فكل الزيارات التي قمنا بها لتلك المساجد من الشرك الذي أسأل الله أن يغفره لنا ، ذلك الشرك الذي ينتشر مع الأسف في الكبار والصغار ، وله ألوان وأشـــكال غير عبادة القبور ، فهناك الذبح لغير الله ،

---

(١) البخاري (٤٧٧١) ومسلم (٣٥١/٢٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وهناك الحلف بغير الله ، والسحر والتنجيم ، وليس هذا موضع ذكر هذه الأنواع ولكني أذكر يا أمـــاه تلك السلسلة الذهبية التي وضعت فيها لي وأنا صغيرة " **خرزة زرقاء** " ، وعندما سألتك عن فائدتها قلت لي : حتى تحفظك من العين . أيُّ حفظٍ كانت تملكه تلك الخرزة التي لا تنفع ولا تضر ؟ ولماذا لم تعلميني كيف أتوكل على الله وحده ؟ لقد أعجبني كثيرًا حديث رسول ﷺ لسيدنا ابن عباس رضي الله عنه : ((**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتـــبه الله**

عليك رفعت الأقلام وجفّت الصحف » [1] وفي رواية : « **واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطأك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا** » [2].

ياله من حديث رائع يعلمه مُربي البشرية لسيدنا ابن عباس - رضي الله عنه — ليتعلم منه الكبار والصغار : أن الله هو النافع الضار ، وأن الحفاظ على النفس يبدأ بحفظ الإنسان لله في كل جوارحه ، بحفظها من

---

(١) الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٩٣/١) وأبو يعلي (٢٥٥٦) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٢٥) .

(٢) أحمد (٣٠٧/١) والبيهقي في الشعب (١٠٧٤) ، وانظر نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي لابن عباس للحافظ ابن رجب .

السيئات والذنوب ، ويلزمها طاعة الله في كل جوارحه ، يحفظها من السيئات والذنوب ، ويُلزمها طاعة الله وتقواه حتى يحفظه الله ، ليتك يا أمـــاه علمتيني ذلك الحديث لأتعلم كيف أتوكل على الله وحده وأستعين به ولا أستعين بسواه .

تأملي هذه القصة : ((بلغنا أن أمير بلدة حاتم الأصم اجتاز على باب حاتم فاستسقى ماء (أي طلب ماء) فلما شرب رمى إليهم شيئًا من المال فوافقه أصحابه ، ففرح أهل الدار سوى بُنَيَّة صغيرة فإنَّها بكت ..فقيل لها : ما يبكيك ؟ قالت : مخلوق نظر إلينا فاستغنينا ، فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وتعالى)) (١) .

---

(١) صفة الصفوة (٣١١/٤) .

تأملي يا أمـــاه تلك الكلمات التي عبَّرت عن استغناء تلك الصبية بعطاء الخالق عز وجل عن عطاء المخلوق وارتباط قلبها الصغير بالله سبحانه . . ليتك علمتيني ذلك منذ الصغر يا أمـــاه .

أمـــاه : أنا لا أريد أن أطيل عليك ، ولكن توحيد ربي كان من أهم ما يجب عليك تجاهي ولكنك – مع الأسف وسامحيني في ذلك – أهملت ذلك العنصر الهام من عناصر التربية الإسلامية ، فلم يكن لساني ينطق بذكر الله كثيرًا ، لأن قلبي كان يعبد الدنيا وما فيها من ملذّات وكان ذلك سببًا لأن وقعت في شباك الشيطان وضللت الطريق !

ليتك يا أمـــاه علمتيني حب الله وأن يلهج لساني دومًا بذكر الله . تأملي معي هذه القصة : ((عن أبي

العباس بن مسروق قال : كنت باليَمن فرأيت صيّادًا يصطاد السمك على بعض السواحل وإلى جنبه ابنةٌ له ، فكلما اصطاد سمكة فتركها في دَوْخلة معه ردّت الصبية السمكة إلى الماء ! فالتفت الرجل فلم ير شيئًا فقال لابنته : أيُّ شيء عملت بالسمك ؟

فقالت : يا أبي أليس سمعتك تروي عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله عز وجل** » فلم أحب أن تأكل شيئًا غفل عن ذكر الله . فبكى الرجل ورمى بالسنَّارة [1] .

تأملي يا أمـــاه هذه الصبية كيف أحبت ذكر الله وامتلأ قلبها بحبه حتى أنّها لم ترض أن تأكل شيئًا حلالاً لمجرد أنّها

---

(١) صفة الصفوة (٤/٣١٠) .

علمت أنّها لا تحصل عليه إلا في حالة غفلته عن ذكر الله ، من أي مدرسة تخرّجتْ مثل هذه الصبية يا أمـــاه ؟ من مدرسة التوحيد خرجت وترعرعت .. رزقنا الله ذلك وأحيانا على لا إله إلا الله وأماتنا على لا إله إلا الله .

فإليك أمـــاه وإلى كل أم ليكن أول ما تُعَلّميه الصغار لا إله إلا الله حتى يتربى الصغار على هذه الكلمة ، فيخرج للإسلام جيل يرفع راية التوحيد في قلبه وعلى أرضه .

* * *

الصلاة يا أمـــاه

أمـــاه : لقد تعودت أن أراك وأنت تصلي ولكن ليس كل الأوقات بل قد تجمعين الظهر والعصر وقد تجمعين كل الأوقات في وقت واحد وكأن الصلاة أمر

شاق عليك ، مع أن الرسول ﷺ روي عنه أنه قال : ((**وجعلت قرة عيني في الصلاة**)) [١] .

ألم تشعري يا أمّـــاه أن من حقي عليك أن تعلميني الصلاة والمواظبة عليها ؟ ألم تسمعي أمر رسول الله ﷺ : ((**علموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها لعَشْر ، وفَرِّقُوا بينهم في المضاجع**)) [٢] .

---

(١) أخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٣٢٢) (٣٢٣) وأبو يعلى (٣٤٨٢) وأحمد (١٢٨/٣) والنسائي (٦١/٧-٦٢) والحاكم (١٦٠/٢) عن أنس رضي الله عنه وصحح الحافظ إسناده في الفتح (٣٤٥/١١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٦) وأحمد (١٨٠/٢) وابن أبي شيبة (٣٤٧/١) وله شاهد من حديث سبرة بن معبد الجهني عند أحمد (٤٠٤/٣) وأبي داود (٤٩٤) والترمذي (٤٠٧) وصححه ابن خزيمة (١٠٠٢) .

وقد كان النبي ﷺ يباشر تعليم الأطفال الصلاة وما يحتاجونه فنها ، عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : ((**علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر : اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتَوَلَّني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت**)) (١) .

وكان ﷺ يصحح للصغار الأخطاء ، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : رأى رسول الله ﷺ غلامًا لنا

---

(١) أخرجه أحمد (١/١٩٩) وأبو داود (١٤٢٥) وابن ماجة (١١٧٨) والترمذي (٤٦٤) والنسائي (٣/٢٤٨) وصححه ابن خزيمة (١٠٩٥) عن عبدالله بن عمرو .

يُقال له أفلح كان إذا سجد نفخ فقال : ((**يا أفلح تَرِّبْ وَجْهَكَ**)) (١) فها هو معلم البشرية يعلم الصغار كيف يذلون بين يدي الله ، ليتك يا أمـــاه علمتني في الصغر أن أُتَرِّب وجهي لله ، كي أشعر بلذة الذل والمحبة لله عز وجل .

سامحيني يا أمـــاه إن قلت لك أني تعلمت منك إهمال الصلاة وتأخيرها ، وكأننا لم نحفظ منذ الصغر : ﴿ **ويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ [الماعون : ١-٢] . فالصلاة ليست مجرد حركات بل هي فرض فرضه الله علينا تَوعَّد من يهمله بالويل ، وهو وادٍ

---

(١) أخرجه أحمد (٣٠١/٦ ، ٣٢٣) والترمذي (٣٨١) (٣٨٢) والنسائي في الكبرى (٤٦٣) .

في جهنم – أعاذنا الله منها – ولأهميتها حثّ رسول الله ﷺ على تعليم الأطفال الصلاة منذ الصغر ، فمن شبَّ على شيء شاب عليه ، ومسئولية التعويد للصغير مسئولية الأم والأب ، فقد كان من الواجب عليك أن تأمريني بالصلاة والخشوع فيها عملاً بقوله سـبحانه : **﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾** [طه : ١٣٢] . تأملي هذه الآية جيدًا يا أمـاه فالرزق بيد الله والطعام والشراب .. بل كل شيء ، فإذا انشغلنا بالرزق والدنيا عن الصلاة فقد بعنا السلعة الغالية – وهي أفضل عطاء من ربنا لنا – بثمن بخس . بعنا جنّة عرضها السموات والأرض بدنيا فانية . فالصلاة يا أمـاه نور لنا في قلوبنا وقبورنا ولذلك حَرَصَت أمهات السلف

على تعويد صغارهن على الصلاة ، حتى إن إحدى الأمهات تُدْفِئ الماء لصغيرها وتخرج به في ظلمة الليل ليشهد صلاة الفجر مع جماعة المسلمين . ليتك يا أمـــاه تعقلين ذلك مع أخي الصغير وليتك حرصتي على جمعي وأخواتي البنات في صلاة الفجر التي أهملها كثير من المسلمين .

أمـــاه : لقد أعجبني فيما قرأت في كتاب " أنباء نجباء الأبناء " مما رُوي عن أبي يزيد البِسطَامي لما تحفظ ﴿ **يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً** ﴾ ، قال لأبيه : يا أبت من الذي يقول الله تعالى له هذا ؟ قال : يا بني ذلك النبي محمد صلى الله عليه وسلم . قال يا أبت : مالك لا تصنع كما صنع النبي ﷺ ؟ قال : يا بني إن قيام الليل خُصَّ به النبي ﷺ بافتراضه دون أُمّته .

فسكت عنه . فلما تحفظ قوله سبحانه : ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك** ﴾ قال : يا أبت إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل فمن هذه الطائفة ؟ قال : يا بنى أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . قال : يا أبتِ فأي خير في ترك ما عمله النبي ﷺ وأصحابه ؟ قال : صدقت يا بني . فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي .

واستيقظ أبو يزيد ليلةً فإذا أبوه يصلي فقال: يا أبت علمني كيف أتطهر وأصلي معك . فقال أبوه : يا بني ارقد فإنك صغير بعد . قال : يا أبتِ إذا كان يوم يصدُرُ الناس أشتاتًا ليُرَوا أعمالهم أقول لربى إني قلت لأبي كيف أتطهر لأصلي معك فأبى ، وقال لي : ارقد

فإنك صغير بعد ، أتحب هذا ؟ فقال له أبوه : لا والله يا بني لا أحب هذا . وعلّمه فكان يصلي معه . أسألكِ بعد هذه القصة سؤالاً يا أمــاه : أكنت تريدين أن أقول لك بين يدي الله وأشكوك فأقول : أمي لم تعلمني صلاة الفريضة ولم تحببني في قيام الليل بين يديك ، أكنت تحبين ذلك يا أمــاه ؟ أعلم أن إجابتك هي : لا . ولكني لا ألومك وحدك على هذه المسألة يا أمــاه ؛ فأبي أيضًا مسئول عن ذلك ولكن تمنيت لو تمتعت أسرتنا الصغيرة بالمحافظة على صلاة الفريضة في جماعة : النساء بالمنزل والرجال بالمسجد ، كما تمنيت لو اجتمعت أسرتنا في ركعتين في جوف الليل نتضرع إلى الله أن ينجينا من عذابه ويُسْكِنّا جنّته ، ففي قيام الليل يا أمــاه راحة للقلب ؛ ففيه يُناجي العبد مولاه ويبثه

شكواه ، وهو دأب الصالحين الذين قال الله فيهم : ﴿ **والذين يبيتون لربّهم سجّدًا وقيامًا** ﴾ [الفرقان : ٦٤] فهو شرف المؤمن والمؤمنة ، وقد كان دأب سلفنا الصالح قيام الليل حتى الجواري المستعبدات كانوا يجتهدون في قيام الليل ، فقد روي عن الحسن بن صالح أنه باع جارية له فلما انتصف الليل قامت تناديهم : يا أهل الدار ، الصلاة .. الصلاة ؛ قالوا : أطلع الفجر ؟ قالت : وأنتم لا تُصَلُّون إلا المكتوبة ؟! ثم جاءت الحسن فقالت : بعتني على قوم سوء لا يصلُّون إلا المكتوبة .. رُدَّني.. رُدَّني .

تأملي يا أمـــاه حرصها لأن تكون في منزل يقيم الليل حتى يكون كل من في المنزل من السابقين إلى الله ، وهذا ما تمنيته يا أمـــاه .

فهيّا أمـــاه تدراكي ما مضى ، حافظي على الصلاة ، وأمري إخوتي الصغار بها حتى تكونوا ممن يعملون بقوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ [التحريم : ٦] .

* * *

الحجاب يا أمـــاه

أمـــاه : تعودت دائمًا عند خروجك من المنزل أن أراك ترتدين الثياب الضيّقة ذات الألوان الجذّابة وتضعين على رأسك قطعة صغيرة من القماش " إيشارب " لا يستر مقدمة الرأس ولا العنق وكنت أعتقد أن هذا هو

الحجاب الشرعي الذي فرضه الله سبحانه وتعالى ، ولكن مع مرور الأيام ودخولي إلى الوسط الجامعي رأيت فتيات مسلمات يرتدين ما يُسمى الخمار الواسع والملابس الواسعة التي تجعل الفتاة تسير في ستر تام بفضل الله ، بل وجدت من تستر وجهها وكفيها رغبةً فيما عند الله . وعند ذلك تساءلت أيُّ اللباسين أفضل ؟ ولماذا ترتدي تلك الفتيات تلك الملابس حتى في الحر ؟ وعدت لكتاب الله لأجده سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ولاتَبَرَّجْنَ تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [الأحزاب : ٣٣] وقرأت تفسيرها للعلامة ابن كثير فعلمت أن التبرج يتمثل في أن المرأة كانت تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها (حَلَقَها) وعنقها ويبدو ذلك كله منها . وقال مجاهد : إن المرأة تمشي بين يدي

الرجال فذلك تبرج الجاهلية . وكم أذهلني ذلك التفسير يا أمـــاه فقد جعلني أنظر إلى ما نعيشه اليوم فوجدته أشد من الجاهلية الأولى ، فالنساء المسلمات اليوم لا يُظْهِرن العنق فقط بل السيقان والصدور وغير ذلك من مفاتن المرأة ، وأصبحت النساء لا تمشي وسط الرجال فقط بل يختَلِطْن بهم في المصايف وفي دور السينما وغيرها ، فأي جاهلية أشد من هذه الجاهلية التي نحياها اليوم والتي عشتها لفترة طويلة لعدم وجود من يرشدني إلى الطريق ، وسامحيني يا أمـــاه إن قلت لك أني حزينة على عدم وجودي في أسرة ملتزمة منذ الصغر مما جعل عمري يضيع في غفلة وسهو وبُعْد عن الله .

أمـــاه : لقد جعلتيني أخرج كاسية عارية دون أن توجّهيني ، ألم تعلمي أن من أهم حقوقي عليك أن

تحفظيني من النار التي توعد الله بها كل من تهاونت في أمر الحجاب ؟ فكما جاء في الحديث الشريف عن الرسول ﷺ : ((**صنفان من أهل النار لم أرهما : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البُخْت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، ورجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس**)) رواه مسلم [1] .

فكم من فتاة تخرج وهي كاسية من الثياب الضيقة والشفّافة وهي في الحقيقة عارية من الحياء والستر فقد كنت أخرج بملابسي الضّيقة وكأني أشد الناس حياءً وسترًا ، والحقيقة كانت غير ذلك وكنت يا أمـــاه لا

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقوله " البخت " : هو نوع من الإبل .

أحد منك إلا التشجيع أمـــلاً منك أن أحصل بتبرجي على زوج

المستقبل ، ذلك الزوج الذي كان اهتمامك به أشد من اهتمامك بتديّني وصلاتي وعبادتي ، وكأن الحرص على الحصول عليه سيأتي به لا محالة .

لا .. يا أمي الحبيبة .. فالزوجُ رزق ، وقد كتب في رزقي منذ كنت جنينًا في بطنك ، فقد جاء عن النبي ﷺ قال : ((**إن أحدكم يُجمع خَلْقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم عَلَقة مثل ذلك ، ثم مضغة مثل ذلك ، يرسل إليه المَلَك فينفخ فيه الرُّوح ويؤمر بأربع كلمات : رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد**)) (١)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

تأملي أمـــاه فقد كتب رزقي في هذه الدنيا وكتب فيه اسم من سأتزوج وهل سيرزقني الله الأولاد أم لا ، ليتك علمت ذلك يا أمـــاه . لو فعلت لوفرت عليّ الكثير من الوقت الذي كان يضيع في التخطيط وإبراز المفاتن للحصول على الزوج .

ليتك يا أمـــاه علمتيني أن أعمل بما جاء في كتاب الله **﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾** [الأحزاب : ٥٩] . تأملي معي هذه الآية يا أمـــاه فالحجاب الذي فرض الله علينا وفرضه على المؤمنات جاء من عند الغفور الرحيم الذي سيغفر ما مضى من التبرج والذي شرعه رحمة من رحماته ، فالحجاب رحمة للمرأة المسلمة

يحفظها حتى لا تكون سلعة رخيصة أمام الرجال ، وحتى لا تكون دُمْيَة تتلاعب بها الأهواء والشهوات ، وحتى لا يطمع فيها ذئاب البشر .

رحم الله أمهات المؤمنين والنساء الأُول من المؤمنات اللاتي قالت فيهن أمُّنا عائشة : ((يرحم الله نساء المؤمنات الأُول ، لما نزل قوله تعالى : ﴿ **ولَيَضْرِبْن بخُمُرهن على جيوبهن** ﴾ [النور : ٣١] قُمْنَ إلى مُرُطِهن فشققنها ثم اختَمَرْن بها [١] .

انظري يا أمـــاه سرعة استجابة النساء المؤمنات لأمر الله ، فأين استجابتي وإياك لذلك الأمر ؟ بل أين استجابة أغلب النساء اليوم اللاتي أعرضن عن دين الله

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥٨ ، ٤٧٥٩) .

بدعوى التَّحَرر .

أمـــاه : لقد عشت فترة طويلة بعيدًا عن الستر والعفاف بالحجاب ، وذلك لأنك لم تعوديني عليه منذ الصغر حتى ينغرس محبته في قلبي وحتى أرتديه بسهولة عند كِبر سني .

فقد قال الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتـــيان فينا   على ما كان عوّده أبوه
وما دان الفتى بِحجًا ولكن   يعـــوِّده التـــديّن أقربوه

أمـــاه : لقد ارتديت حجابي في سن كبير ووجدت من يسخر مني ، ولكن كنت آمل أن تعلميني أنّ هذا الحجاب فرض فرضه الله ، وأنه مهما سخر الناس منه فالأهم هو طاعة الله ،فما عند الله خيرٌ وأبقى ومما أعجبني في هذا المعنى قول الشاعرة :

فليقولوا عن حجابي لا وربـــّي لا أُبالـــي
شيمتي دومًا حيائي واحتشامي رأس مـــالي

* * *

القدوة يا أمـــاه

أمـــاه كنت دائمًا تنشغلين عني بأعمال المنزل والعمل بخارجه وزيارات صديقاتك ، وحتى تتخلصي من إزعاجي تضعيني وإخوتي أمام التلفاز ذلك الجهاز الذي نشأت على حبه والتعلق به حتى أصبحت قدوتي النجمة فلانة والنجم فلان ، وأصبحت أتمنى أن أكون مثلهن وأتمتع بما يتمتعن به من حُرّية زائفة ، وأصبحت كل حياتي أمام التلفاز ذلك الجهاز الذي يقبع أمامه

الصغير والكبير والرجل والمرأة معظم ساعات الليل والنهار . وقد ذكر البعض عن الإعلام أنه ليس فقط يؤثر في الرأي العام بل هو ينشئ الرأي العام للدلالة على خطورة تأثيره فمن أخطاره ، إظهار شعائر الكفر ، والحلف بغير الله ، والتلاعب والاستهزاء بآيات الله ، ونشر الدجل والخرافة والقضاء على مفهوم الولاء والبراء ، والدعوة إلى الجريمة ، وتشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء ، وضياع القدوة حتى أصبحت الراقصة والمغني هم القدوة .. وأي قدوة يا أمـــاه ؟! هل هؤلاء هم القدوة الصالحة أم أنّهم ساقطون وساقطات يسعون لنشر الفساد والرذيلة ! وقد قال الله في من سعى لذلك :

﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا

تعلمون ﴾ [النور : ١٩] .

أمـــاه : لقد ضاعت القدوة الصالحة في حياتي حتى – مع الأسف والاعتذار – لم تكوني أنت قدوة صالحة لي حتى المجتمع الذي نعيش فيه لم أجد فيه إلا النساء المتبرجات في الشوارع والفساد في كل مكان وكنت أبحث في كل من حولي عن قدوة أقتدي بها فلم أجد غير الساقطات والساقطين ، كما قلت لك فأين كنت يا أمـــاه وأنا أقف أمام المرآة لأقص شعري مثل الفنانة الفلانية أو عندما أذهب لشراء ملابس تشبه ملابس النجمة فلانة .

ألم تعلمي يا أمـــاه أن من حقوقي عليك أن تحفظيني من مصادر الفساد حتى يحفظني الله من النار **﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا**

وقودها الناس والحجارة ﴾ [التحريم : ٦] .

أمـــاه : ليتك علمتيني سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم والسلف الصالح وأمهات المؤمنين ، فقد اكتشفت بعد أن هداني الله أنّهم خير قدوة .. فمن أفضل من رسول الله ﷺ لنسير على هديه ؟ وقد قال الله فيه : **﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾** [الأحزاب : ٢١] فهل كانت تربيتك لي على هَدْي رسول الله ﷺ أم ربيتيني على الطريقة العصرية وعلى البدع ، ليتك يا أمـــاه علمتني أن أهجر البدع وألتزم بالسنة ليتك علمتني أن أكون مثل رسول الله ﷺ في تطبيقه للقرآن فأكون قرآنا يمشي على الأرض .

أمـــاه : هل غرست في نفسي حب رسول الله ﷺ

الذي أرسله الله ليخرجنا من الظلمات إلى النور .. من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن ظلمات العادات الفاسدة مثل وأد البنات إلى نور الإسلام الذي تمتعت في ظله المرأة المسلمة بالحياة الكريمة التي يحاول دعاة الفساد طمس معالمها بدعوى تحرير المرأة تلك الدعوى التي تصور لكل فتاة أن الحياة عبث ولهو ولا دخل للدين في تنظيمها حتى نسي الجميع الهدف الذي خلقنا الله له ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] والعبادة لا تقتصر كما يصورها البعض على الصلاة والصوم ، بل كل حياتنا ينبغي أن تكون عبادة لله وأن نكون فيها مقتدين برسول الله ﷺ وصحابته الكرام الذين قال الله فيهم ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا**

يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعجب الزُرَّاع ليغيظ بِهم الكفَّار وَعَد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾ [الفتح ٢٩] .

أمـــاه : كم مرة أوصيتيني أن أقول لمن تتصل بك في الهاتف أن أمي ليست موجودة ! في حين أني تعلمت حديث رسول الله ﷺ ((**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يَصْدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقًا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحـــرى الكـــذب حتى يكتب عند الله**

كذابًا » [1] .

انظري يا أمـــاه : إلى خطورة الكذب الذي تعلمته منك . مع الأسف ألم يكن أولى أن تكوني قدوة حسنة وأن تعلميني مكارم الأخلاق منذ الصغر كما قال الشاعر :

عوّد بنيك على الآداب في الصِّغَر
كيما تَقرَّ بِهم عيناك في الكـــبر
فإنما مثل الآداب تجمعها في
عنفوان الصبا كالنقش في الحجر

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥/٢٦٠٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

صديقاتي يا أمــاه

أمــاه : صديقاتي يا أمــاه هل تعرفينهم ؟

أعلم أن الإجابة ستكون : لا .. فلم تكوني يا أمــاه تهتمين بمعرفة صديقاتي ، وهل هن رفيقات سوء أم صحبة صالحة ، وسامحيني يا أمــاه إن قلت لك : أن هذا الأمر كان يضايقني أنك لم تهتمي بمعرفة مَنْ أجالس ، مع أن الرسول ﷺ يوصي باختيار الصديق الصالح لأنه يؤثر في صديقه ، فكما يقال الصاحب ساحب ، وكما قال ﷺ : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكــم مَنْ يخالل** »[1] ، وجليس الســوء

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وأحمد (٢/٣٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

يا أمـــاه كنافخ الكير كما شـــهد بذلك النبي ﷺ فقال: « **إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة** » [١] وصدق رسول الله ﷺ فقد كُنَّ صديقاتي يا أمـــاه في فترة ضياعي يحرقنني .. أتدرين بماذا يا أمـــاه ؟ إنَّهنَّ يحرقْن عُمُري بتضييع وقتي فيما لا يفيد من حديث عن الموضة والأزياء ، ويحرقن الصلة بيني وبين ربي بشغل وقتي فيما لا يُرضِي الله من غِيبة ونَميمة وأمور أخرى مُحَرَّمة .

أمـــاه : ألم تشعري يا أمـــاه أن واجب التربية

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٨/١٤٦) عن أبي موسى رضي الله عنه .

يفرض عليك متابعتي ومعرفة مُدْخلي ومَخْرجي ومعرفة من أجالس ، فما نصيبك يا أمـــاه من ذلك ؟ فأنت لم تكوني تعرفي أحدًا من صديقاتي إلا عن طريق الصدفة وإذا لقيت بعض صديقاتي لم يحظين منك إلا بالسلام فضلاً عن الجلوس معهن والترحيب بهنّ والسؤال عنهن ومعرفة أحوالهن ، فهذا السلوك يا أمـــاه كان سببه .. آسفة ! إذا قلت : ذلك الإهمال منك لي يا أمـــاه ، ولا أقول أن هذا الأسلوب لا يريحني بل كان يريحني ولكن عاقبته لم تكن محمودة ، فقد أضاع من العمر الكثير الذي كان من الأولى أن توجّهيني فيه إلى رفقة الصالحات التي تريح القلب وتفيد المرء في الدنيا والآخرة . فقد ورد حديث طويل في فضل مجالس العلم التي تضم الصالحات فعن رسول الله ﷺ قال : ((**إن لله تبارك**

وتعالى ملائكة سيّارة يبتغون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم ، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا انصرفوا عرجوا وصعدوا إلى السماء ، قال: فيسألهم ربُّهم عز وجل — وهو أعلم بِهم — من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبِّحونك ، ويكبّرونك ، ويهلّلونك ، ويحمدونك ويسألونك ، قال: وما يسألوني ؟ قالوا : يسألونك جنَّتك . قال : وهل رأوا جنّتي ؟ قالوا : ويستجيرونك ، قال : ومما يستجيروني ؟ قالوا : من نارك يا رب ، قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك . قال: فيقول قد غفرت لهم ، وأعطيتهم ما سألوا ، وأجرتهم مما استجاروا . قالوا :

يقولون : رَبِّ فيهم فلان عبدٌ خطَّاء إنما مَرَّ فجلس معهم . قال: فيقول : وله غفرتُ ، هم القوم لا يشقى بِهم جليسُهُم [١] .

تأملي يا أمـــاه تلك المِنَّة العظيمة لمجالسة الصالحين التي حُرمت منها فترة من الزمن ، ولكن الحمد لله الذي هداني للرفقة الصالحة التي أخرجني الله بِها من الظلمات إلى النور فلله الحمد والمِنَّة .

أمـــاه : إنني حين أدعوك للمتابعة لي ولصديقاتي لست أدعوك أن تكوني كأم زميلتي في الفصل والتي تحدثني عن نفسها يا أمـــاه ، وأن والدتَها تفرض عليها رقابة صارمة فلا تسمح لها بالخروج من المنْزِل وتشك

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

في تصرفاتها وتقوم بتفتيش أوراقها ، وهذا الأسلوب يا أمـــاه يخرج شخصية لا تثق في نفسها ولا تعرف كيف تتعامل مع الآخرين فالتوسط هو سُنَّة الله في الحياة يا أمـــاه ، فالإهمال أمر مرفوض ، والرقابة الصارمة مرفوضة أيضًا .

أمـــاه : لقد تمنيت يا أمـــاه أن تكوني أقرب صديقة إلي قلبي ولكن المصارحة بيننا كانت مفقودة ، والوقت عندك لم يكن فيه متسع ، وأسألك يا أمـــاه كم ساعة تقضيها في المطبخ ؟ وكم ساعة تقضيها في شراء الأمتعة من الخارج ؟ وكم ساعة تقضيها في صحبة أقاربنا وصديقاتك ؟ ومقابل هذه الساعات كم من الوقت كنت أحظى به منك ؟ ، وهل كانت هناك مجالس بيننا نتحدث فيها كأي صديقتين أصارحك فيها

بمشاكلي وهمومي ! ليتك فعلت ذلك يا أمـــاه ، فلقد انتظرت منك ذلك حتى أستفيد من خبراتك وأشعر بالقرب منك ، وأشعر بعطفك عليّ يا أمـــاه ، ذلك العطف والرحمة التي بحثت عنها عند صديقاتي ولم أجدها كما أردت ، ليتك أعطيتني جزءًا من وقتك يا أمـــاه حتى لا أشعر بهذا الحرمان الذي جعلني أشعر كأني يتيمة ، فكما قال الشاعر :

ليس اليتيم من انتهـــى أبواه
مِنْ هَمِّ الحياة وخلّفـــاه ذليلاً
إن اليتـــيم الذي تلقـــى له
أمًّـــا تخلّت أو أبًا مشغـــولاً

* * *

التربية يا أمـــاه

أمـــاه : الكثيرون من الآباء والأمهات يدركون مسئولية التربية وخطورتها ، ولكن مصطلح التربية لا يمثل مفهومًا واحدًا محددًا لدى الجميع ، فالبعض يمارس القسوة على أنَّها هي التربية ، والبعض يجعل المراقبة الصارمة تربية ، فكيف كانت تربيتك لي يا أمـــاه ؟ سامحيني يا أمـــاه إن عدَّدت في هذا الجزء من الرسالة أخطاء تربوية صدرت منك تجاهي .

أمـــاه : هل تعرفين شأن التربية وأهميتها لقد قرأت في كتاب الله قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسَكم وأهليكم نارًا وَقودُها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شِداد لا يعصون الله ما**

أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [التحريم : ٦] . وهكذا يأمرنا الله عز وجل ويأمر كلا الوالدين بتربية أولادهم وبناتهم حتى يبتعدوا بهم عن النار - أعاذنا الله منها ، فماذا كان شأن التربية وأهميتها عندك ؟ وكم من الكتب التربوية قرأت ؟ وكم درس أو محاضرة سمعت لكي تتعلمي أساليب التربية السليمة ؟ .

أمـــاه : لا أنسى يا أمـــاه يوم اشتريت لك بعض الأمتعة وفقدت جزءاً من المال المتبقي ، عندها امتدت يدك لتصفعني على وجهي صفعة لا زلت أذكرها لمجرد أني أهملت في الحفاظ على المال ، وفي هذا الموقف لم أكن أشعر ما هو خطئي ؟ فهل هذه القسوة يا أمـــاه كانت وسيلة للتربية ، وهل هذه الوسيلة تخرج شخصية

سوية . مع الأسف يا أمـــاه هـــذه القسوة لم تولّد في نفسي إلا العنف حتى أني — وسامحيني حين أقول لك — تمنيت لو رددت تلك الصفعة لك ، وهذه نتيجة القسوة يا أمـــاه التي ظهرت منك تجاهي في مواقف كثيرة وكأنك لم تعلمي قول رسول الله ﷺ : ((**من لا يَرحم لا يُرحم**)) [١] . فالرحمة والشفقة من المعاني التي تحتاج لها كل فتاة خاصّة في مرحلة الطفولة حتى تشبَّ وقد امتلأ قلبها بمحبة كل من حولها ، ولكي تتعرف كيف تتعامل مع الآخرين برفق وشفقة .

أمـــاه : كيف يعالج الخطأ ؟ الخطأ يا أمـــاه صفة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٧) ومسلم (٢٣١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ملازمة لكل البشر ، و هي ملازمة للإنسان فكيف بالشابة الصغيرة فمن واجب التربية عليك مواجهة الخطأ ومعالجته بصورة سليمة رفيقة ٠

و لكن ألا تشعري يا أمـــاه أن أسلوبك في معالجة الخطأ كان يحتاج إلى بعض المراجعة ؟ فهل يسوغُ ألا تتركي صغيرة و لا كبيرة إلا واجهتني بها ؟ ثم هل يعالج الخطأ بالقسوة فقط ؟ كثيرة هي المرات التي كنت أتلقى منك يا أمـــاه ضرباً مبرّحًا أو لومًا عنيفًا أو صدًا وإعراضًا لأسباب تافهة لا تستحق الوقوف عندها ، وفي بعض المواقف كنت لا أعرف خطئي فيها ولا أعترف بأن ما صنعته خطأ لأني لم أكن أعرف الفرق بين الصواب والخطأ فما رأيك لو تمت معالجة الخطأ بصورة أفضل من خلال التلميح والإشارة والمناقشة

الهادئة ألم يكن ذلك أفضل من القسوة والشدة .

أمـــاه : لقد كانت تربيتك لي مادِّية دنيوية بحتة ، فطالما حدثتيني عن المستقبل والزواج والشهادة الكبيرة مما جعلني أنشغل بهذه الأمور كثيرًا وأهملت ما هو أهم منها عند الله فإن الله لن يسألني عن البكالوريوس أو الليسانس ، ولكنه سيسألني عن شهادة لا إله إلا الله ، طالما يا أمـــاه كنت تقولين لي : يا بنيّ تفوَّقي لتحصلي على الشهادة ثم الوظيفة المرموقة والزوج ، ولم أسمع منك : يا بنيّ حافظي على الصلاة ، أو يا بنيّ اجتهدي لتخدمي أُمَّتك ولتساهمي في نصرتها بإعداد جيل مسلم يساعد في رفع راية الإسلام . ليت هذه الأمور كانت تحظى باهتمامك في تربيتي وليتها الآن تحظى باهتمامك في تربية إخوتي الصغار حتى تستدركي ما حدث معي .

أمـــاه : لا أريد أن أطيل عليك أكثر من ذلك ولكن أقول لك :

إن كل ما ذكرت إنما هي أخطاء كنت أتمنى ألا تحدث منك تجاهي ، وليست عنوانًا يُنَقِّص قدرك لديّ أو دليل ضعف محبتك في قلبي فإني ، وأنا أكتب لك هذه السطور لازلت أدعو لك في صلاتي وأنا عاقدة العزم على برِّك الذي أمرني الله به ، فأنت صاحبة فضلٍ عليّ ولا أستطيع مهما قدمت لك أن أعطيك جزءًا من حقك عليّ ، فسامحيني يا أمـــاه على ما مضى من كلامي ، ولا تغضبي منِّي فإني أحبك رغم كل شيء ولا أنسى تعبك من أجلي ولا أنسى تعبك في حملي ورضاعتي وتربيتي ، ولا أنسى سهرك بجواري ، فسأظل دائمًا أحبك رغم كل شيء ، وإنما سطرت لك هذه السطور

لكي أبثّك شكواي وجراحي وأنا أعلم أن صدرك الحنون سوف يتقبل ما جاء فيها ، فهي رسالة من ابنة محبة إلى أمها الحنون .

« **ابنتك المحبة** »

* * *

الخاتمة

وأخيرًا أقول لك أختي المسلمة لقد سطرت هذه السطور التي أسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم – سطرتُها وأرجو أن تكون عونًا لكل أم في تربية أولادها ولتقف كل أم وقفة صادقة مع نفسها لتسأل نفسها عن تربية أولادها قبل أن يسألها الله .

ولتقرأي أختي المسلمة هذه الرسالة وتعرَّفي على الأمور التي وردت فيها ثم طبقيها كواقع عملي في بيتك وفي تربيتك لأولادك ، مع الاهتمام بعدم الوقوع في الأخطاء المذكورة حتى تؤدي رسالتك تجاه أولادك على النحو الذي يرضي الله ، فما أحوج بيوتنا اليوم إلى الأم التي تخشى ربَّها وتعتز برسالتها ولا ترضى بِها بديلاً ، معتصمة بدينها القويم وإيمانها الراسخ في مواجهة دعاة الفتنة وأولياء الشيطان .

فأية وظيفة وأية مهمة تسمو على وظيفة المرأة كأم ؟! أي عمل يمكن أن يرقى إلى مستوى الأمومة : مستوى صناعة الإنسانية وتربية الرجال وتخريج الأبطال .

فمَنْ غير الأم يُشيع الأمن والاطمئنان في خلايا

نفس الطفل وفي جنبات البيت وفي جو الأسرة والمجتمع .

ومَنْ غير الأم يسهر الليل مسهدًا يرعى أنجم السماء ؟! .

مَنْ غيرها يضحِّي بلا حدود ؟ ويواسي إذا عزَّت المواساة ؟ .

أليست هي مهد السلام ونبع الحنان ؟! أليست هي التي تربي عقائل البيوت و ترعى أمهات المستقبل ؟! .

فلتعلمي أختاه أهمِّية رسالتك ولترفعي رأسك عالية بإسلامك العظيم لتعكفي على أداء رسالتك في تربية النشء من أطفالنا وطفلاتنا بكل فخر واعتزاز ، وبعلمٍ بأهمية المسئولية الملقاة على عاتقك حتى تقدمي بين يدي ربك هذه الزهرات المتفتحة والبراعم الغضة من شباب الأمة وشاباتها شفعاء لها عند الله وصدق الله عز وجل :

﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كلُّ امرئٍ بما كسب رهين ﴾ [الطور : ٢١] .

((وفقني الله وإياكن لإخراج جيل مسلم يرفع راية الإسلام في قلبه وعلى أرضه)) آمـــين .

أختكم في الله

أم إســـراء

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة